http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (2172) السنة الثامنة - الاحد (26) حزيران 2011

وجهة نظر

تـــــذكـــــرة الخـــــلـــــود

أزهار علي حسين

لا أعتقد أن أحدا يختلف معي في أن الأدب محاولة لإيجاد عالم موازٍ لفوضى هذه الحياة، وعبثيتها، إذ إنه يمثل المعادل الموضوعي، الذي استولدته مخيلة الإنسان؛ لتحمل عبء حقيقة وجوده، في واقع لا تمنح تفاصيله له أكثر من ألم دائم، حتى في أقصى حالات اللذة، والسعادة، متمثلا ذلك الألم في حتمية نهاية لحظته، مهما كان امتدادها، مع كل ما يتبع هذه اللحظة من سلسلة للفقدان والانكسارات في الحياة؛ ليوفر للإنسان - ذلك الألم - بسخاء باذخ إحساسا عميقا باللا قناعة الدائمة، تجاه ما فرض عليه من واقع مشروط، بحتمية النهاية لكل شيء فيه.

ولهذا وأمام سلسة الحقائق المؤلمة تلك، كان لا بد للإنسان من أن يبحث عن خلوده دائما، وأبدا، منذ أولى الرحلات التي قام بها إلى عالم (خمبابا) المجهول، في طلب العشبة المقدسة، التي تأكد له مع مرور الزمن أنها لا تبعد عنه أكثر من نبضة منتفضة، دوّن بها. ومن خلالها. أفكاره، وأخيلته.

من هذا المنطلق. وعلى هذا الأساس. يمكن لنا أن نتساءل، وفي لحظة حقيقة غاية في البراءة: من منا لم يمارس غواية الأدب، حتى وإن لم يكن أديبا بمحاولاته المخبأة في اجتراح عالمه الأمثل عبر أفق أخيلته الرحبة؟.

لكننا. وللأسف. سنضطر إلى العودة؛ لتحطيم صفاء ذلك السؤال، إذا ما عدنا إلى تعريف الأدب السابق، الذي نسجناه على أساس خيالي، وهمي بحت؛ لنتمه بتعريف الأديب، أو صانع الأدب نفسه، بأنه ذلك الكائن الأكثر حساسية لعري ذلك الضوء المبذول في فسحة خياله، وبأنه. أي الأديب. هو من يستطيع عقد قران تلك الفسحة المتوهجة اللا محدودة، مع تجريد الكلمة الأمثل والأكفأ لها بمدى قدرته على التواصل والاتحاد مع ذاته.

إذاً، فنحن نستطيع أن نقول عن الأديب، إنه ذلك الكائن المتمازج بحروف اللغة، والمتسرب بشغف إلى دهاليزها، وغرفها بفتنتها، ورعبها المستتر في الوقت نفسه، وهو . أيضا . ذلك المواظب الجدي في إتمام دورة جنون خيالاته، من خلال إرسالها. بشكل ملموس. عبر تلك الفسحة المحصورة، ما بين فورانها في ذهنه، ومسار ترويضها، وصبها في جسد اللغة، الذي هو المسار الأكثر صعوبة، وإرهاقا، من دون أي مسار في العالم، كما يصرح بذلك همنغواي حين يقول عن الكتابة: إنها المهنة الأقسى في العالم.

وبالطبع، تنبع تلك القسوة، وتتشكل ملامحها، من محاولة صب ذلك اللا محدود من الخيال بتشذيب جنوحه، وتهذيب فوضاه، في قالب محدد من اللغة، ومحاولة المواءمة والمزاوجة ما بينها في مسار موحد، قطعا. ولا شك. لا بد من توازن وتماثل وتكافؤ عنصريه (الخيال/ الكلمة)، وإلا لكانت نهاية النتاج الأدبي.

وبالطبع، يواجهنا السؤال الأكثر حتمية من سواه في الاستفهام عن جدوى تلك المعاناة، وتحمل قساوتها؛ لتحرير الخيال من قيد جنونه، وفوضاه، وإدخاله الحيز الآسر، المتمثل في الكلمة شعرا كانت أم نثرا؟

والجواب. بالطبع. هو في ذلك الفرق والتباين بين الأديب والـلا أديب، ومحاولة الأول وجديته في رسم خرائط عالم أكثر جمالا، وبهاءً، ونورا، من خلال لا محدودية أفق رؤاه، التي شكلها على مر أزمان من المعرفة، والقراءة، والوعي أيضا، حتى لو كان ذلك من خلال اتخاذ سبيل المعاناة، واختلافه. النوع الأول/ الأديب. عن ذلك النوع الثاني/ اللا أديب، الذي نزع إلى بسترة خيالاته، واختزالها في عالم من الاستسلام، لما هو واقع مفروض ضمن هذا العالم، هاربا من جموحها تلك الخيالات إلى اختصار ذاته في خيارات ضيقة.

فالأدب إذاً، هو فرضية الخلق والتغيير، التي حملت راية التحدي، لنتيجة حتمية يتنفسها الإنسان، ألا وهي نهايته، وفناؤه، فحفظت بذلك. تلك النظرية المتمثلة بالأدب. تاريخ مشاعره وإرهاصاته، من تفسخ، وتلاشٍ أكيد، فما وصلنا من منجز أدبي على مرور الأزمنة، حمل في طياته تاريخا من مكابدات الهم الإنساني، كاد يكون هباء منثورا، لولا أنه. أي ذلك التاريخ. قطع تذكرة الأدب للوصول إلينا، مع معرفتنا بضياع كثير من هذا التاريخ الأدبي الإنساني، ضحية للجهل، والمعتقدات، والأفكار المشوهة.

متابعة

في أول نشاط له

نـــادي المســـرح يناقـــش واقـــع المســـرح البابلـــي

عامر صباح المرزوك
الحلة

أن المسرح البابلي لم يولد تقنيا محترفا، أو مؤلفا مستقلا في الكتابة للمسرح، بل ولد مخرجا مبدعا، استطاع أن يكسر المسرح التقليدي والفضاء المألوف، كما في تجارب بشار عليوي، وعلي رضا، وأحمد محمد عبد الأمير.

أما المحور الثاني فبعنوان (النص المسرحي البابلي) للناقد عبد علي حسن، الذي استعرض واقع الحركة التأليفية المسرحية البابلية، التي اقترنت بالواقع الاجتماعي والسياسي، ملمحا عن تهافت المخرجين بعدم إخراج نص مسرحي محلي، واللجوء إلى النصوص المسرحية العالمية، وهي ظاهرة غير صحية يتسم بها مسرحنا العراقي، من خلال الإعداد المسرحي للنص، وهي رؤية تأويلية جديدة للمخرج.

والمحور الثالث (واقع المسرح الأكاديمي) للدكتور علي محمد هادي الربيعي، الذي استعرض فيه المسرح في كلية الفنون الجميلة بجامعة بابل، مقسما إياه إلى ثلاث حقب؛ الأولى من ١٩٨٤حتى١٩٩١، والثانية من ١٩٩٢حتى٢٠٠٣، والثالثة من ٢٠٠٤ حتى الآن، وتطرق إلى استحداث المناهج العملية الجديدة، التي أثرت في الجانب العملي، وفعلته، ومما جعلت الكلية تنتج أعمالا حداثوية، ترتقي بواقع الحركة المسرحية البابلية.

بينما تناول الفنان غالب العميدي محور (المسرح المدرسي البابلي) وتحدث عن النشاط المسرحي المدرسي في مدينة الحلة، وأشار إلى مواضع الخلل ومعالجتها في مواكبة الأعمال المسرحية، التي تنتجها مديرية التربية من خلال مهرجاناتها الخمسة، فضلا عن مشاركتها في المهرجانات التي تقيمها كلية الفنون الجميلة، ونقابة الفنانين في الحلة.

والمحور الأخير كان للكاتب حسن الغبيني بعنوان (نقابة الفنانين وتردي إنتاجها المسرحي) التي خصصها للتحدث عن دور نقابة الفنانين في حراك النتاج المسرحي في الحلة، وعدم تفعيل المهرجانات التي كانت تقام في المحافظة.

وفي نهاية الجلسة جرت عدة تعقيبات ساهم فيها الفنان فيصل مبارك، والصحفي رياض المدني، والدكتور بدر ناصر، والشاعر ناهض الخياط، والدكتور إياد السلامي، والفنان أحمد عباس، والدكتور أحمد محمد، والفنان زهير المطيري، والفنان أمير هشام، والكاتب سرمد السرمدي.

> **أقام نادي المسرح في الحلة حلقة دراسية عن واقع المسرح البابلي كأول نشاط له، في قاعة النشاط المدرسي يوم السبت الموافق ١٨/٦/٢٠١١م، وبحضور عدد من أدباء المحافظة وفنانيها وإعلامييها.**

تضمنت الحلقة الدراسية خمسة محاور، كان أولها (المسرح البابلي بين التقليد والتجريب) للناقد الدكتور محمد أبو خضير، الذي بين في ورقته النقدية، أن المسرح البابلي مسرح مخرج، وهو محور العملية المسرحية، كما هو في المسرح العربي، والعراقي، مبينا

دوريـــــات

العلمانية ومدنية السلطة في "الحياة الثقافية"

متابعة: زياد مسعود

أصدرت مجلة (الحياة الثقافية) التي تصدر عن وزارة الثقافة في تونس، عددا جديدا (أفريل- ماي ٢٠١١)، كان خاصا ببحوث تناقش العلمانية، ومدنية السلطة، أسهم فيه كثير من المفكرين؛ منهم، عبد الحميد أحمد أبو سليمان (إشكالية الاستبداد والفساد في الفكر والتاريخ السياسي)، ومحمود الذوادي (أضواء على المنهجية البديلة للعلمانية لصالح كسب المعرفة الوفية)، وشكري دربالي (العلمانيون العرب ومسألة الهوية)، ورمضان بن رمضان (إضاءات حول مفهومي الأرثودكسية والعلمانية)، ومصباح الشيباني (العلمانية ووعي اللحظة العربية الراهنة)، وسواهم. تتقدم البحوث مادة رئيسة من كتاب المفكر الراحل محمد عابد الجابري (نحو إعادة قضايا الفكر العربي المعاصر) مستلة تحت عنوان (الدين والدولة ... في المرجعية التراثية)، ناقشت موضوعة الإرث الخلافي، وموازين القوى، والثغرات الدستورية في منظومة الخلافة، التي منها:

١-عدم إقرار طريقة واحدة مقننة لتعيين الخليفة.

٢-عدم تحديد مدة ولاية (الخليفة).

٣-عدم تحديد اختصاصات الخليفة.

٤-ويتعرض الجابري. بمزيد من الجرأة المسؤولة، إلى تفاصيل العلاقة بين الصورة الدينية للخليفة والصورة المدنية؛ ليصل إلى الرأي القائل بخصوصية العلاقة بين الدين والدولة، وضرورة معالجتها في ضوء معطيات كل بلد، وهو بذلك لا يقطع برأي شامل، على الرغم من اعتراضاته الواسعة على منظومة الخلافة.

ويعالج بحث (محمود الذوادي) الذي كتبه بعد أحداث الثورة التونسية موضوعة السائد من فهم متكرر عن العلمانية، بوصفها بناء لفكرة فصل الدين عن الدولة، حيث تبنى مفكرون وباحثون غربيون هذا التوجه بكثافة، لكن هذه الظاهرة تتعرض – في معناها السياسي والاجتماعي – في المجتمعات الغربية إلى انتقادات الكثير، وفي مقدمتهم عالم الاجتماع الألماني (ماكس فيبرفيما) يقول السيوسولوجي الأمريكي (بيتر بيرغر)، إن الإنسان يحتاج إلى المقدس ليستطيع إعطاء معنى للعالم.

ويناقش الباحث مشروعا لتأسيس علم اجتماع إسلامي؛ اعتمادا على ذلك الفصل المفترض بين المجتمعات، على أساس الدين والعقيدة، على الرغم من أن صنوف العلم واحدة.

ويرى شكري دربالي (تونس) في بحثه (العلمانيون العرب ومسألة الهوية) أن معنى العلمانية ملتبس، ويحمل أكثر من مفهوم وتأويل، ويرى أن العلمانية عند العرب علمانية راديكالية، وقد أطلق دربالي عليها تجوّزا العلمانية العربية، وقال إنها تقع في مأزق الفهم الأبستمولوجي غير الدقيق للعلمانية الأوروبية المؤسسة على خبرات مجتمعاتها.

يقول دربالي. وهو يناقش تأثيرات الثورة التونسية الحديثة على التوجهات العلمانية. إن التيار العلماني في تونس اليوم، يواجه عدة مخاطر، أبرزها، الانزلاق نحو توظيف خطاب أيولوجي غربي، لا يعبر في مضامينه عن الحقيقة.

ويناقش جمال الدين دراويل (جدلية الحرية والسلطة لدى النخبة التونسية في الثلث الأول من القرن العشرين) حيث الحرية إرادة وقدرة على الفعل، يعترف بها القانون، وينظمها، فيما تحرص السلطة على توسيع نفوذها دائما، وتفرض المزيد من نفوذها، وهو يدعو المؤسسات الدستورية والشعبية إلى إيقاف زحف السلطة على مساحة الحرية، ويضع أفكار النخبة التونسية، تحت ضوء التفكيك؛ إثبات ذلك، مبتعدا عن طرح موضوعة الحرية كمفهوم سيادي في المجتمعات المتقدمة، لا تستطيع السلطة أن تسطو عليه، أو تقصقص نفوذه بفعل الوعي الاجتماعي السياسي الذي يسود المجتمع.

تعتمد بحوث المجلة الأخرى على التطبيقات التونسية الخاصة لمفاهيم العدالة والحرية والتنوير والعلمانية، في أفكار خير الين التونسي، وعبد العزيز الثعالبي، وغيرهم من مفكري تونس، ورجال وعيها الأوائل، ويعد هذا العدد من (الحياة الثقافية) وثيقة من وثائق التوجهات الفكرية المهمة داخل العالم العربي.

مـــــوقـــــف الـــــبـــــاب

شعر: أديب كمال الدين
أستراليا

أوقفني في موقف الباب
وقال: البابُ أبوابٌ يا عبدي.
هناكَ بابٌ للفجر،
وبابٌ للمغرب.
ثُمَّ بابٌ للدمعة،
والصرخة،
والسكّين.
ثُمَّ باب السؤال،
والمُحَال.
ثُمَّ باب الخَمرة.
ثُمَّ باب التوبة.
ثُمَّ باب الجوع،
والفقر،
والحرب.
ثُمَّ باب الموت.
ثُمَّ باب الحِساب،
فالمَسرّة،
فالحبيب.
ثُمَّ باب النجاة.
ثُمَّ باب السَكينة.
ثُمَّ باب السَلام.
ثُمَّ باب الشوق.
ثُمَّ باب الانتظار.
ثُمَّ باب السأم،
فالعدم،
فالعبث،
فالهلاك.

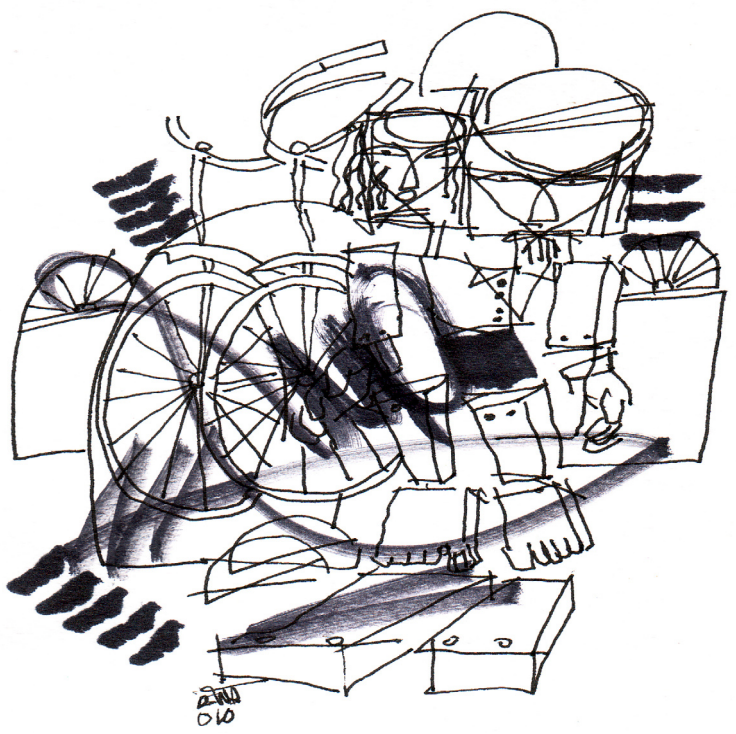

ثُمَّ باب الصبر.
ثُمَّ باب الجَزع
والهلع،
والمرض،
والحاجة.
ثُمَّ باب التيه
فالجنون.
ثُمَّ باب الزمان
فالغيبة.
ثُمَّ باب السُلطان
والامتحان
والنسيان.
ثُمَّ باب العرفان.
ثُمَّ باب النقطة.
ثُمَّ باب الحرف.
ومادمتَ قد اخترتَ بابَ
الحرف
فستقودكَ إلى أبوابي جميعاً.
فالحرفُ خُلِقَ من بابِ الشوق
فانتهى إلى بابِ الحبيب.
ثُمَّ انتهى إلى بابِ الدمعة
ثُمَّ إلى بابِ الخمرة
ثُمَّ دخلَ في بابِ الهلاك
وهو يحسبُها بابَ النجاة.
وإذ زلزلتُ الأرضَ به،
خوفاً عليه وَحُبّاً به،
طرقَ بابَ الجزع
ثُمَّ بابَ الهلع
ثُمَّ بابَ العرفان
عبْرَ بابِ السَكينة،
وهو لا يعرف أنْ لا سَكينة
إلا منّي وبي.
فإنْ تركتُه تلقّفتْه السكّينُ
فذبحتْه
أو تلقّفَه السؤالُ فَزلْزلَه
أو تلقّفَه السأمُ فألقاهُ في أسفل
سافلين.

قناديل

ربع قرن على رحيل بورخيس

الروائية لويزا فالنسويلا :عن بورخيس

■ لطفية الدليمي

تروي الكاتبة الأرجنتينية (لويزا فانسويلا) المولودة سنة ١٩٣٨ (هي ابنة الروائية الشهيرة لويزا مرسيدس ليفنسون) في بعض سيرتها، وحواراتها تفاصيل عن الأجواء الثقافية في الأرجنتين، خلال القرن الماضي ، وتكشف تقارب الأوضاع الثقافية، وتشابهها في بلدان ابتليت بالدكتاتوريات، والقمع السياسي، في الحقبة البيرونية، ومرحلة الانقلابات العسكرية، التي تتابعت على الأرجنتين بعدها، وعن أهمية تجمعات المثقفين، وتحديهم القمع، كان بيت والدتها في (بوينس آيرس) مقرا للقاءات (جماعة الأدب الأرجنتيني)، التي تضم بين أعضائها الكثر، ألمع الأسماء الأدبية؛(خورخي لويس بورخيس)، و(خوليو كورتاثار)، ووالدتها (لويزا مرسيدس)، و(أرنستو ساباتو)، الذي رحل قبل نحو شهرين عن مئة عام إلا قليلا، وقد تآلفت الكاتبة منذ صغرها مع أجواء النقاشات الأدبية، والمحاضرات، والندوات، التي كانت الجماعة تعقدها في بيت والدتها، ونشأت وسط هذا التجمع الأدبي، الذي ضم كبار مبدعي بلادها، لذا نشأت شغوفا بالقراءة، وفكرة الدفاع عن الحرية..

إن تنظيم تجمعات، وشبكات للمثقفين، في أجواء التعسف السياسي، والقمع الأيديولوجي، (يعد شكلا من أشكال الحياة الاجتماعية، أو إعلانا للهوية)، بحسب تعبير (جيرار ليكليرك)، في كتابه سوسيولوجيا المثقفين (وعلى الرغم من النزعات الفردية لدى كثير من المثقفين، إلا أنها لا تنفي كونه شخصية منغمسة في المجموعة)، أسوق هذه الاستشهادات، التي تنطبق على حالة (بورخيس) الشديدة الخصوصية، فهو رافض للنشاط السياسي، لكنه انغمس، وتعاون، وحاضر مع (جماعة الأدب الأرجنتيني)، بوجود مثقفين عضويين؛ أمثال (آرنستو ساباتو)، يعملون في الأنشطة السياسية العامة..

تذكر الروائية (لويزا فالنسويلا) في أحد حواراتها، أن والدتها اشتركت مع (بورخيس) في كتابة قصة قصيرة، وكانا يعملان يوميا في غرفة الطعام، وتتناهى إليها أصداء ضحكاتهما، ومرحهما، وهما يدونان القصة المشتركة، وذات ظهيرة خرج (بورخس) من الغرفة متهللا، وأعلن بضحكة صاخبة: لقد حققنا تقدما خطيرا اليوم، ونجحنا في كتابة سطر واحد جديد في القصة ،

ونشرت القصة في إحدى الصحف الأدبية الرائجة سنة ١٩٥٥ بعنوان (شقيقة لويزا)، لكن ، لا (بورخيس) ولا والدتها أحبا القصة، ولم يضفها أحد منهما إلى أي من كتبه القصصية، وأخبرتها والدتها أن فكرة الكتابة المشتركة مع (بورخيس) علمتها كيفية (تحرير النص)، وكان لهذه التجربة المرحة أثرها في تكوين فكرة حقيقية لدى الفتاة، عن متعة الكتابة، التي عدَّتها أكثر المهن استدعاء للمرح، وقررت أن تتخذها مهنة لها..

تذكر أن عددا من الكتاب، وفي مقدمتهم (بورخيس)، كانوا يصرحون باحتقارهم لمفردة (سياسة)، ويتجنب (بورخيس) أي ملمح سياسي في قصصه، بينما كان (أرنستو ساباتو) يعارضه في هذا، ويصر على أن تكون السياسة عنصرا أساسا في نتاجه الأدبي، ونشاطه الاجتماعي، والثقافي، فهو مثقف عضوي بامتياز بحسب معيار (غرامشي)، تقول (فالنسويلا) عن (بورخيس): (كان يتبع نسقا ذهنيا معينا)، وله نزواته الغريبة، وأسئلته المباغتة، وبوسع المرء فهم الطريقة التي يعمل بها عقله النشط، وكان يعرض فكرته أمام الجميع بكرم بالغ، إنما بطريقة نرجسية متمركزة حول الذات، ولم يكن (بورخيس) معنيا بالإصغاء للآخرين، كان شخصية مونولوجية من نمط هزلي راقٍ،ويبدو مغاليا في إظهار صرامته وجديته، لكنه يشع فطنة، وظرفا ماجنا، ومقابل هذا كان خجولا جدا أمام الجمهور، وهو يلقي محاضراته، ويحدث أن يلوذ بالصمت برهة طويلة، فيخيل للحضور أنه فقد تسلسل أفكاره، لكنه سرعان ما يمسك بالمفردة الملائمة، فتنطلق العبارات الدقيقة من فمه أشبه بجواهر ثمينة، وكانت محاضراته في لقاءات (جماعة الأدب الأرجنتيني) كما تذكر فالنسويلا – في منزلنا تدور حول الأدب وحده في عهد النظام البيروني، وكان بيرون يشعر دائما بتهديد الثقافة والمثقفين له، ولنظامه، ومع أن (بورخيس) لم يكن يقارب فكرة السياسة، إلا أنه. وبأوامر من نظام بيرون – نُقِل من عمله المتواضع، موظفا مغمورا في المكتبة – وَأرغم على العمل مفتشا على بيع الدواجن، في سوق بلدية بوينس آيرس!!، وفي تلك الآونة، كان معظم المثقفين في ضائقة شديدة، لا يكادون يجدون ما يسد الرمق، تذكر (فانسويلا) أن جمعية سرية تأسست تحت اسم (رعاة الفن)، من عشاق الثقافة والمثقفين الميسورين، أسهمت في إقامة بعض المعارض الفنية، ثم نظمت محاضرات ودورات عن الأدب في البيوت، ومن بينها بيت والدتي؛ لتقدم بعض العون المالي للمثقفين، وكنا فخورين بهذا التحدي، على الرغم من رعبنا وإحساسنا، بأننا كالمتآمرين، إذ كنا نوصد النوافذ، ونبقي الأبواب مغلقة، خلال هذه اللقاءات السرية. التي تورط فيها عدد من الكتاب الكبار : ساباتو وبورخيس، وكورتاثار، وادواردو ماليا، ومانويل بايرو، والشعراء أدواردو غونزاليس لانوسا، وإميليا بياجيوني، وماريا إميليا لاهيتي، وبعض الناشرين المعروفين، وكان عمل المجموعة رائعا ومثيرا للإعجاب.

وتقول (فالنسويلا) أنها لا تنسى قط النقاشات المتواصلة بين (بورخيس) و(ساباتو) حول السياسة، وأهمية القصة القصيرة، مقابل الرواية ، وقد خرجت نقاشاتهما الحادة ذات مرة عن السيطرة؛ لتناقض فكرهما السياسي، والمنافسة الأدبية بينهما، وموقف (بورخيس) المتعصب لفكرة الفن للفن، فأقامت (بيبينا دايل) حفل عشاء فاخرا؛ لإحلال السلام بينهما، وكانت تحث (بورخيس) على أن يعتذر من (ساباتو)، لكنه قال بصوت مرتفع ليسمعه الجميع وهو يرتشف ملعقة من الحساء: لم أكن أدرك أننا تشاجرنا!.